خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٤/٠٩/١٩

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "لقد ذكر الله تعالى العملَ الصالح مع الإيمان. المراد من العمل الصالح ألا تخالطه أدنى شائبة من الفساد. اعلموا يقينا أن هنالك لصوصا يحاولون دائما أن ينهبوا أعمال الإنسان. وما أدراك ما تلك اللصوص! إنّ منها الرياء، حيث يعمل الإنسان لمجرد إراءة الآخرين. ومنها العُجب، حيث يفرح المرء في نفسه بعد القيام بعمل ما. ومنها أنواع عدة من سوء الأعمال والذنوب التي تصدر منه وتؤدي إلى إبطال الأعمال. والعمل الصالح هو الذي لا تشوبه شائبة الظلم والعُجب والرياء، والكبر وإتلاف حقوق الناس. فكما ينال الإنسان النجاة في الآخرة بناء على الأعمال الصالحة كذلك تماما ينالها في الدنيا أيضا".

(أي أن للأعمال الصالحة أهمية في الدنيا أيضا، بمعنى أن الأعمال الصالحة التي يكسبها الإنسان في الدنيا ينال أجرها في الآخرة، ويحاسَب عليها في هذه الدنيا أيضا، أو أن الأعمال المكتَسَبة في الدنيا ينال الإنسان جزاءها في الآخرة. كذلك المراد منها أيضا أن الأعمال الصالحة تحوِّل الحياة في هذه الحياة أيضا إلى حياة الجنة)

يتابع المسيح الموعود عليه السلام ويقول: "إذا كان في البيت شخص واحد ذو أعمال صالحة يُنقذ البيت كله. اعلموا أنه لا فائدة من الإيمان ما لم تعملوا أعمالا صالحة".

يقول عليه السلام بأن عليكم أن تتوجهوا إلى الأعمال الصالحة بالعزم الصميم وقاطعين عهدا وثيقا. وقد شبّه الإيمان بالشجرة وقال بأنه مهما كانت الشجرة عالية الجودة إلا أنها لن تكون نافعة دون الرعاية والاهتمام بها. فكما لا بد من الاهتمام بالشجرة ورعايتها للاستفادة منها أو لإبقائها حية كذلك لا بد من الأعمال الصالحة لإكمال الإيمان ورعايته لأن الإنسان لا يمكن أن يُعَدّ مؤمنا بغير ذلك على كونه مؤمنا ظاهريا

وادعائه الإيمان. إن مَثل الإنسان بغير الأعمال الصالحة كمثل شجرة قُطعت أغصانها الجميلة وشوِّهت صورتها وأُتلفت ثمارها وحُرم خلقُ الله من أغصانها الوارفة الظلال. معلوم أنه مهما كانت الشجرةُ جذورُها قويةٌ وكانت دوحةً كبيرة، ثم حُرمت من السماد والماء وأُتلفت أنوارها الناشئة وأغصانها لماتت حتما بعد فترة من الزمن ولما نفعتْها جذورها القوية. وإذا بقيت حية لبعض الوقت لن ينظر إليها أحد ولن يتوجه أحد إلى تلك الشجرة التي لا تقدر على إفادة أحد لأنها لن تكون إلا مجرد خشبة لا أغصان لها ولا أوراق. ولا شك أن كل نظر سوف يتجه إلى شجرة جميلة ومخضرّة يسر الناظرين جمالها. لن يحب الناس إلا شجرة محمّلة بالأزهار والثمار وتهيئ الظل في الحر. لا شك أن مَثل الإيمان كمثل الجذر، ولا شك أيضا أن المؤمن يدّعي أن إيمانه قوي، كما نرى كثيرا من المسلمين يدّعون ذلك ويغار الكثيرون للدين، ويستعدون للقتل أو أن يُقتلوا باسم الدين. فهناك فئات ومنظمات كثيرة يدّعي أهلها بأعلى صوتهم أنهم مؤمنون وإيمانهم قوي. ولكن هل هم مثل تلك الشجرة الجميلة أو الحديقة التي تسر الناظرين والتي تفيد العالم وينجذب الناس إليها بالنظر إلى جمالها؟ الحق أنه كلما قام هؤلاء الناس أو الأحزاب بأعمال الإرهاب هرب الناس بعيدا عنهم بالشدة والقوة نفسها. الدين الذي جاء به سيدنا محمد رسول الله ﷺ قد جذب الأعداءَ، ولم يحوِّلهم إلى أصدقاء فقط بل أسَرهم في حبّه القويّ. كان من تأثير تعليم النبي ﷺ أن حكومة المسلمين توصلت ذات مرة إلى نتيجة أن مقاومة السلطنة الرومانية صعبة عليها وقررت إخلاء المنطقة التي كان اليهود والنصارى يسكنونها بعدد كبير وكان المسلمون مسيطرين عليها، فودّعهم اليهود والنصارى باكين وداعين لهم أن يسيطروا على تلك المنطقة مرة أخرى ليستفيدوا من شجرتهم الوارفة الظلال ومثمرة الأغصان دائما. وقالوا بأن المرافق التي قدمتموها لنا لم تقدمها أية حكومة قط. كان هذا الاحترام للمسلمين راسخا في قلوبهم لأن أعمال المسلمين إلى جانب إيمانهم كانت مفيدة ونافعة لهم. فالادعاء البحت وإظهار الإيمان والقول بقوة جذوره فقط لا ينفع شيئا. فما لم تنفع الناسَ الأغصان الخضراءُ وما لم يجذب الجمال الباهر العالم لا يمكن للعالم أن يتوجه إليها. وإذا حصل ذلك عندها فقط يجتمع الناس حولها ويسعون لحمايتها أيضا. لذا لم يأمر الله تعالى المؤمنين بتقوية إيمانهم فقط بل كلما ذكر الإيمان ذكر معه الأعمال الصالحة أيضا دائما تقريبا وربطها بالإيمان وجعلها شرطا ضروريا. ولخلق هذه الحالة يرسل الله تعالى أنبياءه دائما. وهذه الحالة لا تتولد ما لم تكن للمؤمنين علاقة قوية مع نبي عصرهم.

لقد قلتُ قبل قليل أن هناك فئات وأحزابا كبيرة وكثيرة يدّعي أصحابها باسم الدين أن جذورهم قوية ولكن ما الذي يحدث على صعيد الواقع؟ لا يزداد أهلها نفورا وكراهية فقط فيما بينهم بل كل فئة منهم تسعى بكل ما في وسعها لإثبات تفوّقها على غيرها بطرق مشروعة أو غير مشروعة. وبالتالي يبتعد غير المسلمين عن الإسلام مرتعبين نتيجة تصرفاتهم. الدين الذي نال الحب والتقدير من غير المسلمين حتى استعدوا

للقتال حفاظا على حكوماته، قد بلغت به الحالة الآن أن قلوب المسلمين أنفسهم تقدم مشهد "قلوبهم شتى" بسبب قلة الأعمال الصالحة فيهم ودونك جذبهم الآخرين.

إن تقديم صورة صحيحة للأعمال الصالحة اليوم واجب على المسلمين الأحمديين الذين آمنوا بإمام الزمان ونبي العصر. الجماعة الإسلامية الأحمدية هي الغرسة التي غرسها الله بيده أصولها متأصلة في الأرض بقوة وفروعها خضراء وجميلة تجذب الناس تلقائيا. والسبب في ذلك عائد إلى أن المسيح الموعود عليه السلام أطْلَعنا على تعليم الإسلام الحقيقي، ونصحنا بالتأسي بأسوة رسول الله ﷺ ووضّح لنا أهميتها.

فالجماعة الإسلامية الأحمدية هي التي أصولها قوية وفروعها أيضا خضراء وجميلة ومثمرة وتجذب الناس إلى نفسها. هذه هي الشجرة التي يقول الناس القاطنون في جميع أنحاء العالم بالنظر إليها: ما أجمل هذا الإسلام الذي تقدّمونه! يحدث بين حين وآخر أن يستغرب الناس كثيرا برؤيتهم جمال الإسلام الحقيقي. فمثلا افتُتح ذات مرة مسجدنا في أفريقيا ودُعي إلى الحفل الزعيمُ المحلي الذي كان مسيحيا، فقال بعد الاشتراك في الحفل بأني لم آت إلى هنا بسبب حبي لكم بل لأرى أيّ نوع من المسلمين أنتم الذين دعوتم مسيحيا بمناسبة افتتاح مسجدكم، ولقد زادت حيرتي بعد وصولي إلى هنا حين رأيت الناس من أديان مختلفة مجتمعين هنا، وأن المسلمين الأحمديين يضربون أمثلة عليا من الأخلاق الفاضلة لا يوجد لها نظير، ويعاملون الجميع صغيرا كان أم كبيرا، فقيرا كان أم غنيا بالحب والودّ. وأرى في علاقاتهم من الأخلاق الفاضلة ما لم أره من قبل في أيّ مكان. ثم قال الزعيم المسيحي المذكور أن هذه المساجد وهذا الإسلام هو ما يحتاج إليه العصر الراهن. ثم قال بأنه قد زالت جميع الشكوك التي كانت لديّ تجاه الإسلام. ثم زاد وقال لي بأنك لم تعطِ لهذه المنطقة مسجدًا جديدًا بل أعطيتها حياة جديدة وعلّمتنا قيمًا عُليا في الحياة.

فهناك أشجار قال عنها القرآن الكريم بأن أصلها ثابت في الأرض. ولو شُبّه الناس بالأشجار بسبب الإيمان والعمل الصالح فإن فروع مثل هذه الأشجار أيضا تتعالى وتعانق السماء.

فكما قلت إنه من واجب كل أحمدي بعد إيمانه بإمام الزمان أن يقوّي إيمانه ويصبح فروعًا خضراء لشجرة الإيمان وأوراقًا خضراء على أغصانها، وأزهارًا وثمارًا لا تتراءى جميلة فحسب بل تنفع الناس أيضا، وإلا فلا فائدة من الإيمان واليقين بدون العمل. وهناك بعض الناس في الدنيا يتراءون ظاهرًا كاملين في الإيمان واليقين ويدّعون الكمال في الإيمان واليقين ويتكلمون به إلا أنهم يصبحون عثارًا للعالم. فلا نستطيع أن نؤدي حق كوننا أحمديين ما لم نتحلّ بالأخلاق العليا إضافةً إلى الأعمال الصالحة. ويجب ألا نكون من الذين يشتركون في كل أنواع الفساد والخصومات والذين يمشون بالنميمة ويحقّرون الآخرين ويتجردون من الرحمة والذين يحسنون إلى الآخرين ثم يُتْبِعونه مَنًّا، بل ينبغي أن نتجنب هذه الأمور ونتحلى بالأخلاق العليا ونريها.

يأمرنا القرآن الكريم مرة بعد أخرى بالتحلي بالأخلاق العليا والأعمال الصالحة. يسدي بعض الناس إحسانًا إلى الآخرين مدفوعين بالحماس المؤقت ويساعدونهم أحيانًا، ولكنهم فيما بعد يمنّون عليهم قائلين لهم

بأنهم قاموا بكذا وكذا، أو يتوقعون من الشخص الذي منّوا عليه أن يبقى مثقلا بعبء منّتهم ويظلّ عبدًا لهم طول حياته، وإن لم يحقق هذا الشخصُ آمالَهم فيه فلا يتورعون عن إيذائه. إن هذا يخالف التعليم الإسلامي. يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى} (البقرة: ٢٦٥) وذلك لأنه لا يقوم بمثل هذه الأفعال إلا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، والذين إيمانهم ضعيف، بل هم مجردون من الإيمان. لقد أكد الله تعالى للمؤمن مرارا في القرآن الكريم أنه لا بد أن يصحب الإيمانَ العملُ الصالح، وله فوائد كثيرة مختلفة. يصبح المؤمن بالعمل الصالح نافعا للآخرين كما يأكل بنفسه أيضا ثماره الحلوة. مثلا يعد اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بأنهُمْ سينالون المَغْفِرَة وسيتبوّءون درجات رفيعة في جنات تجري من تحتهم الأنهار.

ثم يقول الله تعالى بأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يوفيهم الله أجرًا عظيمًا لا تتصورونه. إن الإدعاء بالإيمان المجرد لا يجعل الإنسان مستحقًّا لأجر حسن بل لا يُنال الأجر الحسن والجنة والمغفرة إلا بالأعمال الصالحة. ثم قال الله تعالى بأنه يهب الذين آمنوا وعملوا الصالحات رزقًا كريمًا، وهو رزقهم في هذه الدنيا ورزقهم في الآخرة أيضا. والذين يعملون الصالحات لا خوف عليهم وإنهم في مأمن من أي نوع من الحزن والقلق.

لا خوف عليهم في هذه الدنيا ولا يقلقون لآخرتهم لأنهم لم يكسبوا حسنات كافية لها، إذ إن الله تعالى يهب قلوبهم السكينة. وكيف يخاف هؤلاء الذين يعملون الصالحات لأنهم بأعمالهم الصالحة التي يقومون بها ابتغاء لمرضاة الله يدخلون في كنف الله تعالى.

ثم يقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} (مريم: ٩٧) والود هو الحب الشديد والعلاقة الحميمة ولا يطلق الود على الحب العابر وإنما يطلق على الحب والعلاقة القوية التي لا انقطاع لها، وهي علاقة متينة كعلاقة الوتد بالأرض حين يُغرز فيها، وعلى هذه الشاكلة سيغرز الله تعالى حبه في قلوبهم. وعليه فسيكون معنى الآية أن الله تعالى يغرز حبه في قلوب المؤمنين إيمانًا قويًّا والعاملين أعمالا صالحة كما يُغرز الوتد في الأرض. وهكذا هم يحبّون الله تعالى أكثر فأكثر فيزدادون إيمانًا وعملاً صالحًا.

أو يكون المعنى أن الله تعالى يحب هؤلاء المؤمنين حبًّا لا نهاية له. فلو غُرز حبُ الله تعالى في قلب إنسان أو أحب الله تعالى المؤمنين لدرجة وكأن حبَّهم قد غُرز في قلبه، فمن يمكنه أن يتصور إحراز فوز ونجاح أكثر منه؟ إنه يصبح شجرة جميلة وظليلة تفيد الآخرين، لأن جميع أعماله بسبب حبه الخالص لله تعالى تهدف إلى نيل رضى الله تعالى والإفاضة على الآخرين.

وسيكون معنى هذه الآية أيضا بأن الله تعالى سوف يغرس في قلوب الذين يؤمنون بالله ويعملون أعمالا صالحة محبة بني البشر، فلا يمكن أن يخطر ببال مؤمن حقيقي أن يؤذي غيره. ويقتضي حبّ المؤمن الحقيقي لبني نوع البشر أن يكون دائم التفكير في الإفاضة على الآخرين. وكما سبق أن بينت أنه لو تولّد هذا الأمر

في المسلمين لتلاشت للأبد جميع مظاهر الظلم وغصب حقوق الآخرين، وأعمالُ القتل التي تتبناها الحكومات وبعض المنظمات المزعومة التي تُرى كثيرا الآن في العامة أيضا. تحدث كل هذه الأعمال جراء الإعراض عن العمل بتعليم الله تعالى. ولكن من الظلم العظيم أن يحدث كل ذلك باسم الإسلام، في حين يأمر الله تعالى بخلق الود والمحبة التي تنغرز في القلوب، وأن تكونوا من الذين ينفعون الآخرين. فلو عمل هؤلاء بالتعاليم الحقيقية لما رؤي أحد هؤلاء الذين لا يكفّون عن تعريض الناس للإيذاء والإيلام، ولبَرَزَ في أذهان العالم تصور جميل لشجرة الإسلام الوارفة الظلال. وعليه فأحد معاني هذه الآية أن حب المسلمين سينغرز كالوتد في قلوب بني الإنسان، والله قادر على تحقيق ذلك، إلا أنه اشترط العمل الصالح بعد الإيمان. لقد ذكرتُ أن الله تعالى خلق هذا الحب نفسه للمسلمين من القرون الأولى في قلوب الناس من اليهود والنصارى فكانوا يبكون عند مغادرة المسلمين مناطقهم ويدعون لعودتهم، بل ورد في التاريخ أن اليهود قالوا بأننا سنضحي بأرواحنا ولن ندع جيش الروم المسيحي يدخل مدينتنا، فنرجوكم أن لا تغادروا لأننا سنقوم بواجب الحراسة. وكان ذلك نتيجة الأعمال الحسنة التي كانت تظهر من المسلمين في جميع مجالات الحياة، الأمر الذي لفت انتباه العالم إلى هذه الشجرة الرائعة التي أفاضت على العالم كله. واليوم أصبح واجب خدامِ الخادم الصادق للنبي ﷺ أن يقوّوا أصول الإيمان عندهم، وإلى جانب ذلك يجب أن يكونوا أغصانًا وأوراقًا خضراء وثمارًا لشجرة العمل الصالح التي تجذب العالم إلى روعة الإسلام، والتي تنفع العالم كله، وأن يكونوا من الذين يولّدون في قلوبهم حب الله تعالى والذين يفوزون بحبه أيضا، وأن يكون حب بني البشر أولويتنا وأن نجذب انتباه الناس أيضا، لأنه بدون ذلك لا نستطيع تحقيق الهدف من بيعة المسيح الموعود عليه السلام. لقد لفت سيدنا المسيح الموعود عليه السلام انتباهنا مرارا وتكرارا في عباراته المختلفة وتوجيهاته وفي المجالس إلى الاهتمام بالأعمال الصالحة.

فلنحرز الأعمال التى هي صالحة ينبغي أن تكون ملائمة لمشيئة الله وأن تكون منقذة للعالم من الآلام.

ولقد قرأت عليكم مقتبسا من كلامه عليه السلام في مستهل الخطبة والآن أود أن أقرأ المزيد من المقتبسات من كلامه، فذات مرة تكلم حضرته عن تعليمه وأنه يجب أن تكون أعمال أبناء الجماعة بحسبه. فقال:

لا يدخل في جماعتنا إلا من يجعل تعليمنا دستور العمل ويعمل به جُهد المستطيع، أما الذي يكتفي بتسجيل اسمه فقط ولا يعمل بحسب التعليم فليتذكر أن الله تعالى أراد أن يجعل هذه الجماعة جماعة مميزة. فالذي ليس في هذه الجماعة في الحقيقة لا يمكن أن يبقى فيها بتسجيل اسمه فقط بل سيأتيه زمان حين ينفصل منها. لذا يجب أن تجعلوا أعمالكم قدر الإمكان تابعة للتعليم الذي تُعطَونه. إن مَثل الأعمال كمثل الأجنحة. فلا يستطيع الإنسان أن يطير إلى المدارج العليا بغير الأعمال ولا يقدر على أن يحصل على الأهداف السامية التي أخفاها الله تحتها. الطيور تملك فهمًا، ولو لم تستخدمه لما استطاعت إنجاز الأعمال الموكولة إليها. فمثلا لو لم يملك النحلُ فهمًا لما استطاعت أن تصنع العسل". كذلك كم يستخدم الحمام الزاجل فهمه، وكم يطوي مسافات طويلة ويوصل الرسائل! كذلك تُستخدم الطيور في أمور عجيبة أخرى. فمن الضروري أولا وقبل

كل شيء أن يستخدم الإنسان فهمه ويفكر هل الفعل الذي هو فاعله يطابق أوامر الله أو ينال مرضاته أم لا؟ فإذا تأمل في ذلك واستخدم فهمَه وجب عليه أن يشرع في العمل بيديه ولا يتكاسل ولا يتهاون، غير أنه يجب التأكد من صحة التعليم. من الملاحظ أن التعليم يكون صحيحا أحيانا ولكن الإنسان يقع في خطأ بسبب جهله وحمقه أو نتيجة خُبث أحد أو كذبه، لذا يجب أن يبحث في الموضوع بحيادية.

هذا ما قاله حضرته لأبناء جماعته وغيرهم أيضا.

ثم يقول حضرته في موضع آخر:

لذا يجب على كل إنسان أن يخاف الله، فخوف الله سيمكِّنه من إحراز حسنات كثيرة، فخوف الله خير، لأنه بسبب هذا الخوف ينال بصيرة يجتنب بها الذنوب. كثيرون يستحيون حين يتدبرون في منن الله وإنعامه وإكرامه ويجتنبون معصيته ومخالفته، لكن هناك نوع من الناس يخافون غضبه. فالحق أن الصالح والبار من يتحقق صلاحه بعد اختبار الله له. كثيرون يخدعون أنفسهم إذ يحسبون أنهم متقون، لكن المتقي في الحقيقة من سجل اسمه ضمن المتقين في كتاب الله.

في العصر الحاضر يتجلى اسم الله الستار، لكن في يوم القيامة حيث ستفضح الأمور وستنكشف الحقيقة كلها، عندها سيكون الكثيرون الذين يَبدون اليوم كبار الأتقياء والورعين سيَظهرون يوم القيامة كبارَ الفساق والفجار. وسبب ذلك أن العمل لا يعد صالحا بحسب رأْينا وقرارنا. فالأعمال الصالحة في الحقيقة تلك التي ليس فيها أي نوع من الفساد، لأن الصلاح ضد الفساد. فكما أن الغذاء يصبح طيبا عندما يكون ناضجًا وغير محترق، ولا يكون من نوعية رديئة، بل يجب أن يكون من النوع الذي يتمثله البدن فورا. وعلى غرار ذلك يجب أن لا يكون في الأعمال الصالحة أيضا أيُّ نوع من الفساد، أي أن تكون صادرة بحسب أمر الله وموافقةً لسنة النبي ﷺ ثم لا تكون مشوبة بأي نوع من الكسل والغفلة، ولا العُجب ولا الرياء، ولا يكون بحسب رغبة النفس. فإذا تحقق كل ذلك يسمى عملا صالحا، وهو كبريت أحمر. (*أي هذا الشيء نادر جدا*)

ثم شرح حضرته كيف يغوي الشيطان إذ يترصد المؤمنين كل حين وآن، لذا يجب على كل مؤمن أن يسعى جاهدا لحماية إيمانه وأعماله من هذا الشيطان. يقول حضرته:

إن الشيطان يترصد الإنسان كل حين وآن ليجعل أعماله فاسدة، حتى يريد أن يُضله في الأعمال الحسنة (*فلا تظنوا أن الشيطان لا يُضل في الأعمال الحسنة*) ويسعى جاهدا لإفسادها بأي طريقة ممكنة، فحين يصلي المرء يريد الشيطان أن يفسدها بشعبة من الفساد مثل الرياء، ويريد أن يلقي الإمام أيضا في ابتلاء. فيجب أن لا يتغافل المرء عن هجماته، فإن هجماته تكون على الفساق والفجار علنا، فهم صيده، لكنه لا يتورع عن الهجوم على الزهاد أيضا، ويشن عليهم أيضا الهجوم عندما تسنح له الفرصة. فالذين يعيشون في كنف فضل الله ويطّلعون على أدق مكايد الشيطان، فهم يدْعون الله ليعصمهم منه، أما الذين ما زالوا ضعافا وناقصين فهم يتعرضون لابتلاء أحيانا *لغفلتهم*.

ثم يقول حضرته عن ضرورة العمل:

يزعم الإنسان أن مجرد النطق بالشهادتين، أو ترديد قول "أستغفر الله" كافٍ، لكن تذكروا أن الادعاء باللسان فقط لا يكفي، فحتى لو قال الإنسان أستغفر الله باللسان ألف مرة أو سبَّح لله مائة مرة، فلن يفيده. لأن الله ﷻ خلق الإنسان إنسانا و لم يجعله ببغاء، ومِن فعل الببغاء أنها تكرر الكلمات باللسان ولا تفهم منها شيئا. يجب على الإنسان أن ينطق بكل شيء بعد التدبر والتفكر، ثم لْيعمل بحسب ذلك، (*يجب أن تتأملوا في ما تقولون ثم تعملوا بحسبه*). أما إذا كان أحد يردد بعض الكلمات باللسان فقط على شاكلة الببغاء فاعلموا أن ليس في مجرد التفوه باللسان فقط أي بركة. وما لم يرافقه القلب أيضا، و لم يعمل بحسب ذلك سيعد الكلام باللسان فقط ليس فيه أي خير وبركة. لأنه كلام فقط حتى لو كان يقرأ القرآن الكريم أو يستغفر الله. إن الله ﷻ يريد الأعمال، ولذا أمر مرارا وتكرارا أنِ اعملوا صالحا. وما لم يحدث ذلك لا يسعكم التقرب إلى الله. بعض السفهاء يقولون إنا قرأنا القرآن الكريم كله طول اليوم، فلْيسألهم أحد ماذا استفدتم من ذلك؟ إذ قد وظفتم اللسان فقط وتركتم بقية الأعضاء مطلقا، مع أن الله خلق الأعضاء لتُستخدَم. ولذا قد ورد في الحديث أن بعض الناس يقرأون القرآن الكريم وهو يلعنهم، لأنهم يرددون كلماته فقط ولا يعملون به.

فالذي لا يجعل سلوكه بحسب حدود الله ﷻ فهو يسخر بها، لأن الله لا يريد الاكتفاء بالقراءة فقط بل يريد العمل.

ثم قال حضرته:

تذكروا جيدا أن مجرد الادعاءات الفارغة لا يفيد ولا يؤثر، ما لم يصحبها الأعمال، وما لم تصدر الأعمال الصالحة بالأيدي والأقدام والأعضاء الأخرى. لقد كلّف الله ﷻ الصحابةَ بخدمةٍ بعد إنزال القرآن الكريم، فهل اكتفوا بقراءة القرآن الكريم باللسان فقط، أو كانوا وجدوا العمل به أيضا ضروريا، كلا بل قد أبدوا الطاعة والوفاء لدرجة ذُبحوا كالشياه، ثم إن الذي وجدوه من الله وما نالوه من إكرام لا يخفى على أحد.

ثم قال حضرته عليه السلام:

إذا كنتم تريدون فضل الله وفيضه، فأنجِزوا شيئا، وإلا سوف تُرمَون كشيء رديء. معلوم أنه لا أحد يرمي الأشياء الثمينة من بيته مثل الذهب والفضة خارج البيت، بل يحفظ جميع هذه الأشياء الثمينة والمفيدة. لكنه إذا وُجدت فأرة ميتة في البيت فسوف ترمونها خارج البيت فورا. كذلك يحب الله عباده الصالحين ويطيل أعمارهم، ويبارك في أعمالهم فهو لا يضيعهم ولا يميتهم ميتة الذل والهوان. إن كنتم تريدون أن يكرمكم الله فهذا يستلزم أن تكونوا صالحين لكي تجدروا بالإكرام عند الله، فالذين يخافون الله ويستجيبون لأوامره فهو يجعل فرقانا بينهم وبين غيرهم. فإنما سرُّ فوز الإنسان بالبركة يكمن في اجتنابه السيئات دوما، فمثل هذا الإنسان يكرَم حيثما يعيش، لأنه يصدر منه الصلاح والبرّ، فهو يحسن إلى الفقراء ويرحم الجيران، ولا يثير الفتن، ولا يرفع قضايا مزورة ولا يشهد الزور، بل يزكي القلب، وينيب إلى الله، ويسمى وليَّ الله.

ثم قال حضرته عليه السلام:

ليس من السهل أن يكون المرء ولي الله، بل هو صعب للغاية، لأن ذلك يستلزم اجتناب السيئات والتخلي عن الرغبات والثوائر السيئة، وهو صعب جدا. فالتخلي عن الأخلاق السيئة والضعف الأخلاقي يكون صعبا جدا بعض الأحيان. فالقاتل يمكن أن يتخلى عن القتل والسارق يمكن أن يترك السرقة، لكن ترك الغضب يتعذر على صاحب الخُلق السيئ، كما يجد المتكبر التخلي عن الكبر صعبا للغاية. لأنه حين يحتقر الآخرين يحتقر نفسه أخيرا. لكن من الحق أن الذي يجعل نفسه صغيرا أمام عظمة الله سبحانه وتعالى فهو يجعله بنفسه عظيما. تذكروا أنه لا أحد يمكن أن يكبر ما لم يصغِّر نفسَه. فبهذه الوسيلة ينـــزل النور على قلب الإنسان ويُجذب إلى الله. وجميع الأولياء الذين خلوا ويعظِّمهم اليوم مئات الألوف من الناس، قد عدّوا أنفسهم أقل درجة من النملة، فأصابهم فضل من الله، ووُهبت لهم مدارج كانوا يستحقونها. فالأخلاق السيئة من التكبر والبخل والغطرسة فيها نصيب من الشرك. لذا لا ينال مرتكب هذه السيئات نصيبا من أفضال الله، بل يبقى محروما. لكن المتواضع على عكس ذلك يكون محل رحمة الله.

ثم قال حضرته مخاطبا ثلاثة أشخاص بايعوا على يده عليه السلام بعد أخذ بيعتهم:

يجب ألا يكتفي المرء بعد البيعة بالاعتقاد أن هذه الجماعة صادقة، وأنه سينال البركة بمجرد هذا الاعتقاد. الزمن الراهن زمن البلاء، والطاعون منتشر في كل حدب وصوب، والله تعالى لا يفرح بالإيمان وحده ما لم ترافقه الأعمال الصالحة. فما دمتم قد انضممتم إلى هذه الجماعة فاسعوا لتكونوا صالحين وأتقياء واجتنبوا السيئة واقضوا هذا الوقت في الأدعية. انصرِفوا إلى التضرع ليل نهارَ. في وقت الابتلاء يكون غضب الله أيضا في هياج، فادعوا وتضرعوا وتصدّقوا في هذا الوقت. ليِّنوا ألسنتكم، داوِموا على الاستغفار، وادعوا في الصلوات. هناك مثل أُردي معروف معناه: المتضرع لا يهلك. الإيمان وحده لا ينفع الإنسان. فلو آمن المرء ثم أهمل مقتضياته فلن يستفيد شيئا، فالشكوى أن البيعة لم تنفع لا يجدي شيئا. إن الله تعالى لا يرضى بمجرد الكلام.

ثم قال عليه السلام لافتا الانتباه إلى العمل الصالح: اعلموا أن مجرد الإيمان لا يفيد ما لم تعملوا عملا صالحا، فحين يكتب الطبيب وصفة فإنما يقصد أن يشتريها المريض ويتناولها، أما إذا تركها و لم يستخدم تلك الأدوية، فما الذي يستفيد منها؟ الآن بايعتم ويريد الله أن يرى في المستقبل كم طهَّرتم أنفسكم بعد هذه التوبة، فالله سبحانه وتعالى يريد أن يميِّز في هذا الزمن بالتقوى. كثيرون يشتكون الله ولا ينظرون إلى أنفسهم. فالإنسان يظلم نفسه شخصيا وإلا فالله سبحانه وتعالى رحيم وكريم.

ثم قال حضرته في موضع آخر: إن الذين ينشئون علاقات الْمُريدية والتعظيم بي بالانضمام إلى جماعتي فإنما الهدف من ذلك أن يرتقوا إلى أعلى مدارج السلوك الحسن والسعادة والتقوى، ولكي لا يقترب منهم أي نوع من الفساد والشر وسوء السلوك، ولكي يتمسكوا بالصلوات الخمس، ولا يكذبوا ولا يؤذوا أحدا

باللسان ولا يرتكبوا أي نوع من السيئة، ولا يدَعوا أي شر وظلم وفساد وفتنة يخطر ببالهم. باختصار ينبغي أن يجتنبوا كل نوع من المعاصي والجرائم والمنكرات -قولا وفعلا- (*أي الأفعال المنهي عنها والأقوال المنهي عنها*) والثوائر النفسانية والتصرفات الباطلة، ويكونوا عباد الله طيبي القلوب وعديمي الشر ومتواضعين، ولا تبقى في وجودهم أي مادة سامة.

فهذه هي النصائح التي نحن بأمسّ حاجة لنضعها في الحسبان كل حين وآن. هذه الأمور حصرا ستجعلنا الغصون الخضراء لشجرة وجود المسيح الموعود عليه السلام. وبذلك ستتحقق الغاية من عهد بيعتنا، وهذه الأمور سوف تُكسبنا حب الله أيضا، وبواسطة هذه الأعمال سوف نجذب اهتمام العالَم إلينا. نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المؤمنين الحقيقيين الذين يُعرفون بإيمانهم وأعمالهم الصالحة، وينالون قرب الله.

بعد صلاة الجمعة سأصلي صلاة الجنازة على أحد المتوفَّين، والجنازة موجودة هنا، فقد توفي رشيد أحمد خان المحترم ابن الأستاذ إقبال محمد خان المرحوم المحترم من سكان "إنر بارك" في لندن في ٢٠١٤/٩/١٦ عن عمر يناهز ٩١ عاما، إنا لله وإنا إليه راجعون. كان قد ولد في مدينة آغره في الهند، تلقى الدراسة الابتدائية في قاديان، ثم هاجر إلى هنا إلى بريطانيا في ١٩٥٥ وكان المهندس الأعلى في القوات البريطانية البحرية، حيث تقاعد في ١٩٨٠. وحين اشتُريت "إسلام آباد" عيَّنه الخليفة الرابع رحمه الله مشرفا عليها، حيث أنجز هذه الخدمة ببذل جهود مضنية، فكان من أوائل سكان إسلام آباد. لقد خدم الجماعة سكرتيرا للمال لمدة طويلة في "سبن ويلي" في يورك شاير. كان إنسانا صالحا ومخلصا، كان والده الأستاذ إقبال محمد خان من غوجرانواله، وكان هو الآخر مخلصا جدا، وكان قد بنى مسجدا في الجامعة الأحمدية في ربوة وسمّاه باسم زوجته مسجد "حَسن إقبال". ترك المرحوم ابنا وحيدا اسمه شميم أحمد خان بالإضافة إلى أرملته. رفع الله درجاته وغفر له، ووفَّق ابنه أيضا لإنشاء علاقات الإخلاص والوفاء بالجماعة، وألهم الابن والزوجة كليهما الصبر والسلوان.